ترجمة روبرت أوف كيتون للقرآن الكريم ومراجعة كريتزك لها

إضاءة تاريخية - نقدية

الدكتور
فؤاد
عبدالمطلب *

* إجازة في اللغة الإنكليزية وآدابها عام ٧٥-١٩٧٦م جامعة دمشق .
- ماجستير في الأدب الإنكليزي عام ٨٠-١٩٨١م جامعة دمشق.
- دكتوراه في الآداب ٨٨ - ١٩٨٩م جامعة اسكس انكلترا .
- له العديد من الأعمال المنشورة بين تأليف وترجمة وأبحاث منشورة في العديد من الدوريات المحلية والعربية والدولية .

يطرح أحد الباحثين العرب المسلمين في بداية دراسة له حول ترجمة القرآن الكريم تساؤلاً وجيهاً حيث يقول: "ترجم غير المسلمين القرآن الكريم إلى لغاتهم بقصد الرد عليه، وأول ترجمة من هذا النوع كانت إلى اللغة اللاتينية في العصور الوسطى [يقصد ترجمة روبرت أوف كيتون للقرآن الكريم]. ثم ترجم آخرون من هؤلاء في العصور الحديثة إلى لغات أوربية أهمها الإنكليزية والفرنسية. ولكن لم يترجمه أحد من المسلمين حتى العهد الأخير، وجلُّ هؤلاء إن لم يكن كلهم من غير العرب أو ممن دخلوا الإسلام حديثاً. فما أسباب ذلك، مع أن كثرة المؤمنين برسالة محمد - ﷺ - هم من غير العرب ولا يتكلمون العربية؟"(١). ويخوض هذا الباحث في موضوع أحكام ترجمة القرآن وتاريخها ويقدم في نهاية دراسته تفسيره لإحجام العرب عن ترجمة القرآن وإقدام غيرهم من المسلمين. ويرى أن أهم أسباب ذلك الإحجام يكمن في آيات القرآن الصريحة، فما جعله الله

(١) الدكتور عبد اللطيف الطيباوي . " **أحكام ترجمة القرآن الكريم وتاريخها** " في، دراسات عربية وإسلامية ٠- دمشق: دار الفكر، ١٩٨٣م، ص٨٠ .

عربياً لم يجسر عربي على أن يجعله غير ذلك، فللقرآن في روع كل عربي واقف على أسرار بلاغته العربية منزلة من التعظيم والتكريم لا تعلو عليها منزلة، فهو يضمر في قلبه حرصاً على إبقاء هذين التراثين، القرآن الكريم ولغته الشريفة، متكاملين على الوجه الذي أراده الله وارتضاه رسوله وألِفهُ العرب[1]. إن ما يهمنا في هذا الكلام أن الأوربيين لم ينتظروا العرب والمسلمين كي يترجموا القرآن الكريم[2] بل قاموا بترجمته إلى اللاتينية في وقت مبكر من تاريخ عدوان الغرب الأوربي ضد العرب والمسلمين، في حقبة الحروب الصليبية، التي كانت ترمي في ظاهرها إلى

(١) انظر: المرجع السابق، ص٨٠.

(٢) يبدو أن السريان من غير المسلمين ترجموا شيئاً من آيات القرآن . يذكر الدكتور محمد حميد الله: أن في مكتبة مانشستر مخطوطاً فيه ترجمة هذه الآيات، وأن واضع الترجمة هو بار صليبي المعاصر للحجاج بن يوسف. ويضيف أن في متحف لندن مجموعة من المخطوطات باللغة السريانية تعود إلى عهد خلافة هشام بن عبد الملك وفيها بعض آيات القرآن الكريم مترجمة إلى هذه اللغة. ويقول الفيكونت فيليب دوطرازي أن ابن الصليبي مطران ديار بكر (ت ١١٧١م) نقل، في القرن الثاني عشر إلى اللسان السرياني آيات جمة من القرآن الكريم ضمها في مؤلف خاص انطوى على ٣٠ فصلاً في ١٤٤ صفحة (كتاب الجدل)، وهو مخطوط في مكتبة بطريركية السريان ببيروت. ويضيف طرازي "واطلعنا نحن على ترجمة سريانية للقرآن الكريم. ويتبادر إلى الظن أن مترجم تلك النسخة القرآنية العريقة هو باسيل مطران الرها الذي كان من أبرع كتاب تلك الحقبة وأبلغهم وقد أفلتت هذه المخطوطة النادرة من نكبة هائلة اجتاحت مدينة الرها وأهلها عام ١١٤٥م يوم احتلها الزنكي ملك الموصل (٥٤٢-٥٩١هـ)". انظر: مقالة فيكونت فيليب دو طرازي *Le Viconte Philippe De Tarazi* بعنوان "القرآن: بحث علمي تاريخي أثري" التي اهتمت بها ونشرتها مجلة المجمع العربي بدمشق، مجلد ١٩ سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، ص ٤١٦-٤٨٨، انظر أيضاً، كتاب الدكتور محمد صالح البنداق . المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ٠- بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣، ص٩٧-٩٨.

تخليص بيت المقدس من يد المسلمين، وفي حقيقتها إلى تدمير الإسلام والسيطرة على الشرق العربي الإسلامي بما فيه من خيرات ومراكز[1].

لذلك هدفت الدراسة الحالية تقديم إضاءة حول إحدى الترجمات المبكرة التي وضعها أناس معادون أساساً للإسلام ، وحول شخصية أصحابها ونفسيتهم ومواقفهم السلبية والعدائية المستترة وراء غطاء أيدلوجي مزيف اتخذوه خدمة لمآربهم وأهدافهم وأهداف من هم وراءهم، وتستند في ذلك إلى مطالعة في الوضعية التاريخية التي تساعد في تحقيق عملية الإحاطة بالقضية المطروحة، كما يساعد نقل مراجعة جيمس كريتزك إلى العربية في التعرف إلى الترجمة وواضعيها والحكم عليهم. والحق، إن الفائدة الحقيقية تكمن في دراسة الترجمة ذاتها دراسة متأنية؛ بيد أن المحاولة هنا ترمي إلى إثارة النقاش ولفت انتباه المترجمين والباحثين ضمن الحدود المرسومة لهذا العمل ؛ تاركة للمتخصصين النوعيين مهمة البحث والتحقق والتدقيق والرد، فمثل هذه الأمور تحتاج إلى معرفة متخصصة ووقت طويل وجهد متواصل للوقوف عليها.

في معرض حديثه عن تاريخ الاستشراق وميدانه ودوافعه يتحدث الدكتور مصطفى السباعي عن صعوبة تحديد من هم الغربيون الأوائل الذين عنوا بالدراسات الشرقية؟ وفي أي وقت كان ذلك؟ ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان

(١) يناقش الدكتور عمر فروخ ومصطفى الخالدي هذا الموضوع ويذكران آراء بعض المستشرقين بخصوص فشل الحروب الصليبية ويريان أن دول أوربا قد خابت في انتزاع القدس من يد المسلمين وأن تقيم مملكة مسيحية في الشرق الأدنى بالسيف فسعت للتعويض عن تلك الهزيمة بشن حرب صليبية جديدة عن طريق التبشير، فاستخدمت لذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات وفرق المبشرين. انظر : **التبشير والاستعمار في البلاد العربية** ٠- بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٥م، ص١١١-١١٦.

الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم. ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي جربرت الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٥م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده وبطرس الجليل (١٠٩٢-١١٥٦م) وجيراردي كريمون (١١١٤-١١٨٧م). وما أن عاد هؤلاء إلى بلادهم حتى نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العربية المترجمة إلى اللاتينية - وهي لغة العلم في جميع أوربا يومئذٍ - استمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعدها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون. ثم يذكر الدكتور السباعي دوافع الاستشراق الدينية والاستعمارية والتجارية والسياسية والعلمية، ويقسم أهداف المستشرقين في جملتهم إلى ثلاثة أقسام أولها : وهو ما يهمنا منها هو : الهدف العلمي المشبوه الذي يهدف التشكيك بصحة رسالة النبي (ﷺ) ومصدرها الإلهي، وإنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله وإنما هو ملفق - عندهم -من الديانتين اليهودية والمسيحية[1]. ويتطرق شكيب أرسلان إلى بعض الطعن والقذف والتشويه الذي حمله الغربيون تجاه النبي محمد ﷺ وتأكيد بعض المستشرقين لتلك الأباطيل:"فقد مثّل هؤلاء محمداً كرجل كاذب، والإسلام كعمل من أعمال الشيطان، والمسلمين كقوم همج، والقرآن ككتاب منسوج من أوله إلى آخره بالمُحالات. وكانوا بزعمهم لا يجدون حاجة إلى الأخذ والرد في هزوٍ كهذا. ثم إن "بطرس الجليل"

(١) انظر: الدكتور مصطفى السباعي . **الاستشراق والمستشرقون** .- بيروت: دار الوراق: طبعة جديدة ١٩٩٩م، ص١٩-٣٦ حول هذه الأفكار وما يليها؛ انظر فصول كتاب د. محمد خليفة حسن . أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر .- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ.

Pierre le Venerable مؤلف أول كتاب ضد الإسلام تَرجَمَ مع ذلك في القرن الثاني عشر القرآن إلى اللاتينية. ثم في القرن الرابع عشر ظهر "بيير باسكال" فعلِم عن الإسلام أكثر من غيره. ثم إن "البابا اينوشانيوس الثالث" قال عن محمد: إنه المسيح الدجال. ولكن في القرون الوسطى بدأوا ينظرون إليه نظرتهم إلى رجل مبتدع ممن يقال لهم الهراطقة. ثم ظهر ريموند لول في القرن الرابع عشر وغليوم بوستل في القرن السادس عشر وزولان وغانييه في القرن الثامن عشر والأب دوبروغلي ورينان في القرن التاسع عشر وكانت أحكامهم في هذا الموضوع متفاوتة ليست على وتيرة واحدة .. ولا يزال للإسلام إلى يومنا هذا أعداء شديدو العصبية"[١]. وفي هذا الإطار يعقب الدكتور محمد صالح البنداق على عمل هؤلاء المستشرقين الذين نتحدث عنهم الذي لم يكن قائماً على مبدأ العمل المتجرد والبحث العلمي النزيه، ثم يتطرق إلى اندفاعهم إلى ترجمة القرآن الكريم بالذات وإنتاج ترجمات اعتمد عليها علماء الإفرنج في فهم كتاب الإسلام، فجاءت "قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر، وهي إنما تؤدي بعض ما يفهمه المترجم له منهم إن كان يريد بيان ما يفهمه، وإنه لمن الثابت عندنا أن بعضهم تعمد تحريف كلمه عن مواضعه، على أنه قلما يكون فهمهم تاماً صحيحاً، ويكثر هذا فيمن لم يكن به مؤمناً، بل يجتمع لكل منهم القصوران كلاهما: قصور فهمه، وقصور لغته".[٢] ويسوق الدكتور البنداق عدداً من الأهداف التي توخاها المستشرقون من ترجمة

---

(١) السيرة النبوية للأمير شكيب أرسلان في كتاب لوثروب ستودارد . **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد الأول، ج١ ٠- ط٣ ٠- دار الفكر ، ١٩٧١م، ص٨٤-٨٥.

(٢) يستند الدكتور البنداق في مناقشته إلى رأي الشيخ محمد رشيد رضا فيما يتعلق بالأسباب العائقة عن فهم الأجانب للقرآن التي يعزوها إلى الجهل ببلاغة كتاب الله، انظر: المستشرقون وترجمة القرآن، المعطيات مذكورة سابقاً، ص ١٠٠ - ١٠١.

القرآن، منها : التزامهم بحرية الترجمة . فتأتي الترجمة موافقة لأهوائهم من حيث التصرف بالنصوص عن طريق التقديم والتأخير والإهمال وغير ذلك، ومنها ترجمتهم للقرآن ليحاربوه، وانطلقوا من فكرة ترجمة القرآن الكريم صراحة لدحض المبادئ الإسلامية وتفنيدها. وقد فعلوا ذلك بروح رجعية متزمتة باعثها معاداة الإسلام. ولنا على ذلك مثل في الترجمة الإسبانية التي وضعها موركيوندو اي أو أوكراتوندو وعنوانها هكذا بكل صراحة:

" القرآن مترجم بأمانة إلى الإسبانية ومعلقاً عليه ومدحضاً طبقاً للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني "(١) وهي بدون تاريخ، كما أن هؤلاء المستشرقين اندفعوا نحو الترجمة الكيفية لا الصحيحة والعلمية أو حتى النسبية لحد ما، إمعاناً في التحريف والتضليل خوفاً من أن يعتنق الإسلام من يقف من الأوربيين على حقيقة النصوص القرآنية فيما لو حصل على ترجمة صادقة أو صحيحة، ومنها أيضاً تعمد التحوير في ترجمة بذاتها بحيث يبرز شرح أو تفسير كلمة مغايرة لما كان عليه في الطبعة الأولى .. مما يدل على روح التضليل، ومنها تحبيذ نشر ترجمات معينة مضللة أو إعادة نشرها وترجمتها إلى لغات أخرى، وخصوصاً الترجمات التي تنطوي على الأضاليل والتحويرات والأخطاء والشطحات التي سداها الحقد والتعصب الذميم. إن ذكر هذه الأهداف والآراء هنا ليس نقلاً أو ترفاً فهو يتصل على نحو مباشر بقضية ترجمة كيتون للقرآن والظروف التي تمت فيها ؛ لأن تلك الأهداف تتجسد على نحو أو آخر في حال هذه الترجمة المذكورة كما أن الغرض من الحديث حول أهداف المستشرقين بخصوص ترجمة القرآن يؤسس للنقاش لاحقاً في هذا العمل.

---

(١) انظر: المرجع، السابق، ص ١٠١ - ١٠٦.

إضافة إلى ذلك كله، يتطرق أحد الباحثين والمترجمين في عمل له أيضاً إلى بعض أهداف من قاموا بترجمة القرآن الكريم في الماضي، فيذكر منها: الاطلاع على ما جاء في القرآن لمحاربته؛ ومحاولة إبراز قدرات استشراقية على فهم العربية، وتصديها للنص القرآني، ولكنها لم تسلم من الخلفيات الدينية أو الفكرية التي واجهتها، ومنها سعي فرق مذهبية بعيدة عن الإسلام لتدس في القرآن عقائدها وآراءها؛ ومنها إظهار حسن النية في ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمات تميزت بالتعمق في اللغتين العربية والأجنبية على ما فيها من مآخذ، كأن تنحو منحى العامية أحياناً، وتحكمها الأهواء أحياناً أخرى. وسعى إلى هذا الأمر بعض المستشرقين واليهود ممن تعاطفوا معهم فترجموا القرآن الكريم وتعللوا بحجة الدراسة النقدية المنهجية، وكان غرضهم التهجم على الإسلام وإنكار أصالة ما جاء فيه، والنيل من قيمه الدينية(١). وتماشياً مع كثير من الأهداف المذكورة يمكن القول: إن ذلك كان إلى حد كبير حال أول ترجمة لاتينية أوربية مسيحية للقرآن الكريم وهي الترجمة التي ظهرت في أوربا في بداية عصر المواجهة بين المسلمين والمسيحيين الغربيين في الأندلس، إبان حقبة الحروب الصليبية(٢). وقد أنجزت هذه

(١) انظر: الدكتور محمد خير البقاعي. "ترجمات القرآن الكريم"، **مجلة الفيصل**، العدد٢٣٩، ص٣٥-٣٦.

(٢) جرت الترجمة اللاتينية الثانية مباشرة عن القرآن الكريم على يد لودفيكو ماراكسي *Ludovic Marraci (Marracci)* التي طبعت أول مرة عام ١٦٩٨م. ثم ظهرت ثانية، مع إضافات وشروح، قام بها رينيكوس *Reineccius* عام ١٧٢١م، وقام بعد ذلك نيرتر *Nerrter* إلى الألمانية؛ انظر: الدكتور محمد صالح البنداق. **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم**، ص١٠٦؛ وانظر: **موسوعة الإسلام**، مج٣، ليدن: إي. جي. بريل، ١٩٦٩م ص٤٣١ (بالإنجليزية).

الترجمة بتكليف من الراهب بطرس الجليل الذي كان رئيساً لدير رهبان كلوني من عام ١١٢٢م إلى عام ١١٥٦م وهي سنة موته. ولد هذا الراهب في منطقة أوفرني في فرنسا عام ١٠٩٢م، وكان ناشطاً مسيحياً كبيراً، وصديقاً لآباء الكنيسة والملوك. دفعه حب الاطلاع عام ١١٤١م إلى زيارة الأديرة البنديكتية، أديرة الرهبان من أتباع بنيديكت في طليطلة، فسحرته روعة الحضارة العربية الإسلامية التي شهدها بأم عينه، واعترته الرهبة، واعتزم الاطلاع على العوامل الباعثة لهذه الحضارة التي رأى فيها منافساً جباراً للمسيحية، فقرر أن يطلع على مصادر الإسلام. وصادف هناك قساً إنكليزياً يدعى روبرت أوف كيتون، ففوضه مع آخرين بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية[1]، فأنهى ذلك القس الترجمة عام ١١٤٣م، ومخطوطتها موجودة بخطه في مكتبة الأرسنال في باريس. وقد ظهرت على ترجمة روبرت أوف كيتون حواشٍ وتعليقات تنم عن روح صليبية عدائية تجاه القرآن الكريم والنبي محمد (ﷺ)، مما يدخل في إطار القدح الكريه. وعلى الرغم من ذلك فإن السلطات الكنسية آنذاك لم تسمح بظهور هذه الترجمة مباشرة نظراً لسيادة الشعور الصليبي المغالي، وخوفاً من أن تؤدي هذه الترجمة على مساوئها ، غرض التعريف بالإسلام وانتشاره عوضاً عن الهدف الأصلي، وهو محاربة الإسلام (مع أن أوساطاً دينية مسيحية كثيرة اطلعت عليها وتأثرت بها). ظهرت هذه الترجمة مطبوعة في عام ١٥٤٣م في مدينة بال السويسرية لدى الناشر بوكمان ببلياردي، وأعيد طبعها مرتين في زيورخ عام ١٥٥٠م وعام ١٥٥٦م. لقد كانت الغاية المعلنة من مشروع الترجمة هذا

---

(١) وردت هذه التفاصيل حول بطرس الجليل وترجمة روبرت أوف كيتون في عدد من المصادر؛ انظر: على سبيل المثال، الدكتور محمد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص ١٧٥؛ الدكتور محمد خير البقاعي. "ترجمات القرآن الكريم"، **مجلة الفيصل**، العدد٢٣٩، ص٣٢-٤٠؛ وانظر أيضاً: موسوعة الإسلام، مج٣، ١٩٦٩م، ص٤٣١ (بالإنجليزية).

معرفة كتاب الإسلام، والهدف الحقيقي هو أن تكون الترجمة سلاحاً يستخدمه المسيحيون ضد المسلمين في حقبة انطلاق أهم الحملات الصليبية إلى الشرق العربي الإسلامي. وقد قال نورمان دانييل عن روبرت في ترجمته إنه "كان دائماً يغلو ويبالغ في ترجمة نص غير عدائي كي يضفي عليه طابعاً كريهاً أو إباحياً،أو لتفضيل تفسير غير محتمل ومكروه على تفسير محتمل ومقبول"(١) .

إن ظهور هذه الترجمة ينطوي على مفارقة جلية، فقد تزامن ذلك مع الأحداث الدامية التي شهدها الشرق ؛ نتيجة للحقد الصليبي المسلح ضد العرب والمسلمين، ومع حركة فكرية ودينية إصلاحية في الغرب جاءت نتيجة ردة فعل للحروب الصليبية ولعوامل عديدة أخرى. وقد أشار غير باحث إلى هذه النقطة؛ فقد أوضح محمد أبو طالب في هذا السياق: "أنَّ من غريب المصادفات أنَّ بعض ترجمات القرآن الكريم صدرت في ظروف معينة من تاريخ الحضارة الفكرية والاجتماعية والدينية في الغرب. فالترجمة الأولى صادفت حركة الإصلاح الديني التي انطلقت من كلوني *Cluny* في فرنسا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وكانت تهدف إرساء قوانين مؤسسة الكنيسة من جهة، والعمل على تحرير الفرد من شتى القيود من جهة أخرى. ونذكر على سبيل المثال الانقسام الذي وقع بين اليونان وبين الروم داخل الكنيسة سنة ١٠٥٤" .

ومن رواد هذه الحركة المشرف على الترجمة المذكورة القس المعروف ببطرس الجليل *Petrus Venerabilis* سنة ١١٤٣م. وقد ظهرت الطبعة الثانية إبان النهضة الحاسمة في تاريخ المسيحية التي قادها مارتن لوثر *Martin Luther* (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) الذي كان له اهتمام نسبي بالإسلام، وكان من بين الملحين على إصدار هذه

(١) اقتباس وارد في موسوعة الإسلام، مج٣، ص٤٢٩.

الترجمة التي كتب لها تقديماً. وعلى الرغم من الموقف المعادي للإسلام آنذاك، فمما لاشك فيه أن هذه الترجمة كانت عنصراً فعالاً في تطوير الفكر الألماني خاصة والغربي عامة"(1). ستحاول المناقشة التالية التطرق إلى تلك الثنائية الغريبة بطرفيها الصليبي والإصلاحي وبيان تأثيرها في ترجمة روبرت أوف كيتون.

ففي الشرق، كانت الحرب الصليبية الأولى التي جرت ما بين الأعوام ١٠٩٦-١١٤٦م بمثابة الشرارة التي أشعلت الحرب بين الشرق الإسلامي وأوربا الصليبية التي بدأت في أعقاب خطبة البابا أوربان الثاني خارج مدينة كليرمون في السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٠٩٥م/٤٩٦هـ أمام حشد كبير من الناس، ودعوة بطرس الناسك الذي هجر الدير وأخذ يتجول في شتاء عام ١٠٩٥-١٠٩٦م في أرجاء فرنسا داعياً لحملة البابا. وكان بطرس الناسك في مقدمة جيش الحملة في ربيع عام ١٠٩٦م/٤٩٧هـ الذي زحف باتجاه مدن الشرق فاستولى عليها كمدينة نيقية، عاصمة الدولة السلجوقية، ومدينة أنطاكية التاريخية، والقدس، وارتكب الصليبيون ما ارتكبوا من مجازر وسلب ونهب ولاسيما في بيت المقدس (انظر، ابن خلدون في كتابه: "العبر"، وويلز في كتابه: "موجز تاريخ الشرق الأوسط" والمؤرخ نقولا زيادة في كتابه: "الصليبيون في الشرق"). كما تمكن الصليبيون من فرض سيطرتهم على معظم ساحل البحر الأبيض المتوسط باستثناء صور وعسقلان. ودار خلال ذلك عدد من المعارك والمواجهات، وما لبث أن ظهر عماد الدين الزنكي الذي دانت له الموصل عام ١١٢٧م/٥٢١هـ فغدا أقوى حاكم مسلم ليقود حركة الجهاد ضد

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر: محمد أبو طالب. "**ملاحظات حول ترجمة القرآن**"، ترجمان، جامعة عبد المالك السعدي: مدرسة الملك فهد العليا للترجمة في طنجة، المجلد ٨، العدد ٢، أكتوبر ١٩٩٩م، ص١٢-١٣.

الغزاة الصليبيين. وتمكن عماد الدين الزنكي من توحيد الصفوف وتوجيه ضربات قوية للصليبيين، فبعد حصار دام ثمانية وعشرين يوماً استطاع أن يدخل الرها ويستولي عليها بعد أن قضى على الصليبيين فيها. فكانت الرها هي أول إمارة صليبية تقوم على أرض الشرق العربي الإسلامي، ويشاء الله أن تكون أول إمارة تتحرر. وقد سبب سقوط الرها صدمة مؤلمة وعنيفة للصليبيين، ترددت أصداؤها في كل من الشرق والغرب، إذ كانت المدينة ترتبط بتراث مسيحي باكر، كما أن سقوطها بعد ما يقارب خمسين عاماً على استيلاء الصليبيين عليها كان نذير شؤم بالنسبة إليهم. وخلف نور الدين محمود أباه عماد الدين الزنكي في إمارة الموصل بعد عامين من تحرير الرها إثر مقتله غيلة عام ١١٤٦م/٥٤١هـ. ولم يستكن نور الدين الزنكي عن توحيد الإمارات الإسلامية في الشرق للقضاء على الكيان الصليبي وتحرير بيت المقدس.

أحدث سقوط إمارة الرها *(Edessa)* وتحريرها على يد عماد الدين الزنكي هزة كبيرة في أوربا، وفي الشرق - حيث مستوطنات الصليبيين - كان الإحساس بالهزيمة مريراً، فذهب وفد من فرنجة الشرق إلى بلاد البابا ايجنيوس الثالث، وذهب وفد من الأرمن يستنهض همم البابوية وملوك الغرب لمحاولة استرداد الرها التي ضاعت منهم، ونتيجة لمساعي القديس برنارد وخطبه الدينية أمام بارونات فرنسا التي كان يؤكد فيها أن سقوط الرها لم يكن كارثة ولكنها إرادة الرب في أن يمتحنهم من أجل أن يهبوا لاستردادها. وشرع برنارد يبارك البارونات في أرجاء فرنسا و"الحجاج" المحاربين الصليبيين من أجل أن يهبوا في حملة صليبية جديدة إلى المشرق ستعد لاحقاً من أشد الحملات المتطرفة دينياً. كان برنارد مصمماً على أن تكون الحملة عالمية يشترك فيها جميع أبناء العالم المسيحي في الهجوم على

المسلمين ومن ثم لتدمير الإسلام نهائياً (١). ونتيجة لذلك تجمع جيش فرنسي كبير قوامه سبعون ألفاً على رأسه لويس السابع ملك فرنسا، وتجمع جيش ألماني قوامه سبعون ألفاً أيضاً على رأسه إمبراطور ألمانيا "كونراد" الثالث. سلك الجيش الألماني طريق البحر ورست سفنه على شواطئ آسيا الصغرى، وعلى أراضي السلاجقة هاجمه المسلمون وأجبروا قسماً منه على العودة، واضطر الإمبراطور الألماني إلى التخفي واستطاع أن يفلت من الحصار ويصل إلى بيت المقدس. أما الجيش الفرنسي فسار بطريق البر حتى وصل إلى القسطنطينية وعرف هناك أن حشوداً إسلامية كبيرة تنتظره في إمارة الرها، فالتف حولها، متجنباً الصدام معها، وتقدم نحو بيت المقدس. وفي بيت المقدس اتفق كل من الملك الفرنسي والإمبراطور الألماني مع بلدوين الثالث ملك بيت القدس على الزحف إلى دمشق واحتلالها. وحاصر الصليبيون مدينة دمشق، لكنها كانت بالغة القوة والتحصين. فسارعت قوى إسلامية عديدة لإنقاذ دمشق وفك الحصار من حولها، مما اضطر الجيوش الصليبية إلى التقهقر والانسحاب ليتفادوا معركة دموية كبرى لم يجرؤوا على الدخول فيها. وفشلت الحملة الصليبية في استرداد الرها وانسحبت جيوش الصليبيين إلى أوربا وهي تشعر بمرارة الخزي والهزيمة. وقد دامت أحداث الحملة الصليبية الثانية من أواخر ١١٤٧م/٥٣٢هـ إلى أواخر عام ١١٤٩م/٥٣٤هـ(٢).

---

(١) انظر كتاب كارين أرمسترونغ : **الحرب المقدسة**: الحملات الصليبية وتأثيرها في العالم المعاصر، لندن: ماكميلان، ١٩٨٨م، ص ١٤٦، (بالإنجليزية)، وعموماً الفصل المخصص للقديس برنارد وجهوده في التحضير لأشد الحملات الصليبية تطرفاً من الناحية الدينية.

(٢) انظر مصطفى وهبة : **موجز الحروب الصليبية** ٠- مصر ، المنصورة: مكتبة الإيمان، ١٩٩٧م؛ وكتاب كارين أرمسترونغ، السابق ذكره، وخصوصاً الفصل الثاني الذي يتحدث عن الحملة الصليبية الثانية.

وفي الغرب، خصوصاً في فرنسا كانت هناك نزعة فكرية تتجه نحو التعلم؛ بالإضافة إلى الروح المسيحية المتدينة السائدة. فبدلاً من الرحلة العدائية تلك التي تقود إلى الفتح وإلى عالم محدد مادياً، برزت الآن الرحلة الصوفية المتدينة باتجاه عالم ليس ذا نهاية مادية. ففي آخر رومانسيات (قصص الفروسية والبطولة) للكاتب كريتيان " قصة الكأس المقدسة " التي لم يكملها، يسعى فرسان إلى الكأس المقدسة التي استخدمها المسيح في العشاء الأخير والتي تحتوي دمه الحقيقي. وتتحول الكأس فيما بعد من أثر مقدس إلى رؤيا خيالية مقدسة لا يسعى فيها الفرسان إلى مدينة القدس ولكن إلى مدينة أراس السماوية التي ليس لها مكان جغرافي محدد في هذا العالم. وبدأ سعي الناس إلى أيدلوجية غير مهووسة بحيازة الأراضي بالقوة أو بالعودة إلى جذور جغرافية محددة. وحاولوا تحرير العنصر المقدس من العنصر المادي ابتغاء خلق بديل أيدلوجي للحيلولة دون الوقوع في براثن العنف الانتحاري للأيدلوجية الصليبية المسلحة. وفي بداية قصة " كليجية *Cliges*" يلقي كريتيان نظرة إلى الماضي:

"فمن الكتب التي بقيت لنا من الماضي نتطلع إلى الأعمال العظيمة للرجال الذين عاشوا في غابر الزمان. وتخبرنا كتبنا هذه أن أمثلة الفروسية والعلم كانت في الماضي تنتمي إلى الإغريق. ثم انتقلت الفروسية إلى روما. مع العلم الكبير الذي بدأ يأتي الآن إلى فرنسا. نرجو من الرب أن يحظى العِلمُ بمكانة هنا وأن يُرحب به هنا وألا يفارقنا الشرق الذي حظينا به بسبب ذلك في فرنسا: لقد منحها الرب فرصة جديدة، ولكننا لم نعد نسمع عن الإغريق والرومان، فقد ولى زمانهم، وخمدت جذوتهم[1] .

(١) اقتباس في كتاب كارين أرمسترونغ . **الحرب المقدسة: الحملات الصليبية وتأثيرها في العالم المعاصر**، ص١٥٦.

كان هذا يمثل شعوراً إفرنجياً جديداً: فبدلاً من النظر إلى الوراء أي إلى الإمبراطور شارلمان فقط، نرى هنا سعي كريتيان لتأسيس علاقة مع الإغريق والرومان، مع أبطال العالم الكلاسيكي، الذين لا يمثلون قوى عسكرية فحسب، بل أساطين للمعرفة. وسعى كريتيان مع غيره من الكتاب إلى بعث فكري إفرنجي جديد كاستمرار للتراث القديم. وفي هذه الأثناء كان بعض العلماء يحاولون بناء جسر من الماضي الكلاسيكي الذي ضاع إبان العصور المظلمة. وكلما احتل الفرنجة أرضاً كانت تحت الحكم البيزنطي أو الإسلامي، كانوا يجدون هناك أناساً يعرفون الإغريقية أو العربية ومطلعين على علوم العالم الكلاسيكي القديم الذي فقد الغرب الصلة معه. فأسرع العلماء الذين يجيدون اللاتينية إلى أماكن مثل إسبانية وصقلية، وفيما بين الأعوام ١١٥٠ و١١٨٧م قام علماء مثل جيرالد أوف كريمونا وتلميذه دانييل مورلي باكتشاف ثروة من النصوص وتراث علمي كبير مترجم لدى العلماء العرب فحاولوا بشتى السبل تأمينه كي يصل إلى أيدي الطلبة الأوربيين(١). فشرعوا بترجمة الكتب عن العربية واكتشفوا أعمال أرسطو العلمية بينها، بالإضافة إلى أعمال العلماء العرب الفلسفية والعلمية. وقد كانت طليطلة مركزاً مُهماً للترجمة: فقد وجد دانييل مورلي أعمال علماء عرب عَدَّهم "من أكثر الفلاسفة حكمة في العالم". ولما لم يكن في الأجواء حساسيات دينية كان الاتصال يتم بين العلماء من كل الديانات، ولاسيما المسلمين والمسيحيين، وقد كانوا يتعاطون العلم على نحو موضوعي. فمن جهة كان العرب قد استوعبوا معارف العالم الهلنستي والعالم الكلاسيكي القديم وتمثلوها على نحو مكنهم من نقلها بصورة مفهومة وواضحة إلى العلماء من أديان أخرى. وعبر ترجمة الكتب العربية وقراءتها كان العلماء الغربيون حقاً يعودون بأوربا إلى

---

(١) انظر: المرجع السابق ، ص١٥٦.

جذورها الكلاسيكية ويكتشفون تراثاً فكرياً غنياً ضائعاً. وقد تعلم أولئك الأوربيون كثيراً من الفلاسفة العرب وعلمائهم ؛ من أمثال الفيلسوف والطبيب أبي علي الحسين بن عبد الله ابن سينا (المتوفى سنة ١٠٣٧م) وكان اكتشافهم الأعظم في قرطبة لمعاصرهم أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (متوفى سنة ١١٩٨م). وقد اختصرت هذه الأسماء على التوالي إلى أفيسينا *Avicenne* وأفيروس *Averroes* ، وهكذا أصبح العلماء العرب الحكماء الجدد ومرشدي الغرب الذي يشق طريقه نحو الأمام بصعوبة والذي أخذ يبني تقاليد مدرسة علمية طبقاً للمناهج العربية، مع تأكيد علمي النحو والمنطق خاصة، ولذلك كان بعض المسيحيين في حقبة الحملات الصليبية يتعلمون من العرب بدلاً من ذبحهم باسم الرب، فمن خلال ذلك التعلم والروح العربية الإسلامية الإيجابية والمتسامحة في العطاء بدأت الحياة الفكرية الجديدة تعطي أُكلها. وتذكر كارين أرمسترونغ صراحة: أن العرب المسلمين على نحو خاص كانوا نوراً بالنسبة إلى الغرب المسيحي، ومع ذلك فإن ذلك الدين قلما أشير إليه أو اعترف به. وما إن اكتملت عملية الترجمة العظيمة تلك فيما بعد، حتى أخذ الأوربيون يُجردون أنفسهم من تلك العلاقة المعقدة والمَرَضِيّة - بالنسبة إليهم - مع الإسلام، وأصبحوا غامضين فعلياً في تعاملهم وتصريحاتهم عن العرب والمسلمين وكأنهم لم يعرفوهم قط[١]. وبدا هؤلاء الأوربيون وكأنهم غير قادرين تماماً على المطابقة بين العرب المسلمين الذين تعلموا على أيديهم، وبين العرب المسلمين الذين يقاتلونهم عبر حملاتهم الصليبية وأصبح العرب يُحشرون دون تمييز مع "الوثنيين" أو "القبليين" *Gentiles* مثلهم مثل قدماء الإغريق والآشوريين والكلدانيين وغيرهم[٢]. فنادراً ما

(١) انظر: المرجع السابق ، ص١٥٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ، ص١٥٧.

صدر تصريح يَعدُّ العرب من غير الوثنيين أو القبليين على الإطلاق أو أنهم كانوا يؤمنون بإله إبراهيم الخليل. وظهرت تناقضات مضحكة أحياناً في أفكارهم: فقد كان توما الإكويني يمتدح ابن سينا وابن رشد ويعجب بهما لكنه كان يرفض دينهما الإسلامي ويعده غلطة أو زلة وثنية من طرفيهما. وحاول آخرون اقتطاع كلام لابن سينا من أجل الرد على الإسلام [1]. وعندما يتخيل دانتي موطن الأرواح المحرمة من دخول الجنة ليضع فيه الأخيار من " الوثنيين " فإنه يُدخل ابن سينا وابن رشد معهم ولكنه يضعهم في آخر قائمة العلماء الإغريق واللاتين المميزين الذين يعدهم من الأسلاف المفكرين. وترسخ - خلال عصر النهضة في أوربا فيما بعد - ذلك التراث الكلاسيكي في الوعي الأوربي، وأسقطت اللغة العربية من المناهج الدراسية، ورُفضت من قبل الهيلينيين الجدد بوصفها لغة همجية وغدت العلاقة مع الإسلام والعرب معقدة بالنسبة إلى الأوربيين في أن يتعاملوا معهم على نحو متوازن وموضوعي. وجعلت النزعة الصليبية العرب جزءاً مكروهاً من الهوية الغربية. كما أن علماء تلك الحقبة وجدوا أنفسهم على نحو مشابه غير قادرين على تمييز أولئك الإغريق الذين اكتشفوهم مؤخراً بوصفهم جزءاً لا يتجزأ منهم كغربيين أنهم فعلياً هم أجداد البيزنطيين المكروهين. إن تلك الحركة العلمية الهادئة الخلاقة فكراً وفناً التي تتلمذت على يد العرب المسلمين كانت ترفض على مستوى من المستويات عنف الحملات الصليبية على صعيد القول أو الشكل فحسب. ومبعث هذا الرفض ليس حب المسلمين ولكن الرعب والهلع من المذابح التي سترتكب بحق المسلمين والموت والهزيمة اللذين ينتظرانهم في نهاية الحملة بالنسبة إليهم. وحتى في أحسن حالات هذه الحركة كان هناك من يرى أن ما يحصل للعرب والمسلمين قمع غير طبيعي وتفكير

(١) انظر: المرجع السابق ، ص١٥٧.

مزدوج حيال أولئك الناس الذين كانوا يوماً ما مرشديهم ومعلميهم، ومثالهم الرائع، فهم الآن أعداؤهم الوثنيون الميتون. فإلى تلك الحركة على ما يبدو كان الراهب بطرس الجليل ينتمي. وكثيراً ما كان البحث الغربي في الإسلام يتميز بتلك النظرة المزدوجة السابق ذكرها، ويبدو أيضاً أن مراجعة جيمس كريتزك لترجمة روبرت أوف كيتون تندرج في سياق هذه النظرة.

لقد ذكرنا سابقاً : أن الراهب بطرس الجليل ولد في منطقة أوفرني *Au-vergne* بفرنسا عام ١٠٩٢م، وكان ناشطاً مسيحياً كبيراً، فأصبح رئيساً لدير رهبان كلوني *Cluny* من عام ١١٢٢م وحتى عام ١١٥٦م وهو عام موته(١). ولا بد هنا من الإشارة إلى الدور الكبير الذي قام به دير كلوني في نشر التشدد الديني المسيحي من طرف، وإيقاظ الوعي الغربي من طرف آخر، وإلى إسهام بطرس في ذلك عبر نفوذه الروحي وصداقته مع آباء الكنيسة والملوك ، فقد دفعه حب الاطلاع عام ١١٤١م إلى زيارة الأديرة البنديكتية في طليطلة، فعزم الاطلاع على العوامل الباعثة للحضارة العربية الإسلامية التي سمع بها ورأى فيها منافساً قوياً للمسيحية، فقرر أن يطلع على مصادر الإسلام، وتعرف هناك على راهبين زائرين آخرين، الأول إنكليزي ويدعى روبرت أوف كيتون والثاني هو هرمان أوف دالماتيا(٢) ، وكان هذان الرجلان يبحثان عن نصوص عربية في علم الرياضيات والفلك، فقام بطرس الجليل بإقناعهما بالتعاون معه في مشروع يرمي إلى ترجمة كتب الإسلام الرئيسة. وعمل

---

(١) انظر: د. محمد خير البقاعي. "ترجمات القرآن الكريم"، **مجلة الفيصل**، العدد ٢٣٩، ص٣٥-٣٦، وانظر أيضاً: كارين أرمسترونغ . **الحرب المقدسة: الحملات الصليبية وتأثيرها في العالم المعاصر**، ص١٥٧. هذا مع العلم أن سيرة حياة بطرس الجليل لم تدرس على نحو مفصل ودقيق. ويشير جيمس كريتزك إلى ذلك في حواشي الصفحة الأولى من مراجعته.

(٢) وتشير كلمة أوف في هذه الأسماء وما يماثلها أن الرجل من بلد كذا.

كل من روبرت وهرمان مع مسيحي إسباني يدعى بطرس أوف توليدو، وشخص مسلم، يطق عليه محمد السراسيني the Saracen.[1] فأدى عمل هؤلاء مجتمعين إلى ترجمة مجموعة من الكتابات التي كانت وثائق بالنسبة إليهم، فظلت تحظى باهتمام بالغ من قبل الأوساط المطلعة الأوربية حتى نهاية القرن السادس عشر. وكان من بين هذه الوثائق، ترجمة للقرآن الكريم، وتأريخ للعالم من وجهة النظر الإسلامية ، وعرض لأحاديث النبي (ﷺ) ومجموعة من القصص الإسلامية، وعمل مبكر فيه جدل فلسفي مع الإسلام أُطلق عليه عنوان "دفاع الكندي". ويظهر أن أحد المراجعين- فيما بعد قام ببعض الإضافات على هذه الأعمال نفسها، وظلت هذه الإضافات تعد ذات مرجعية في نظر الطلبة مثلها مثل النصوص ذاتها. وبدا ذلك للأوربيين خطوة إيجابية هائلة نحو الأمام. وعلى الرغم من أن هذه الخطوة أدت إلى خلق تقاليد جدلية، كانت بعيدة تماماً عن فهم حقيقة الإسلام، وأسفرت عن صورة فانتازية مشوهة ساعدت كثيراً على إذكاء نار الحرب الصليبية المستعرة. وادعى الراهب بطرس الجليل، بوصفه رجلاً لطيفاً ومحباً، عبر كتابته رسالة (بحث صغير) أنه سيصل إلى المسلمين عبر خطاب المحبة، ولكن عنوان عمله هذا يُظهر تماماً الروح التي صدر عنها: "موجز الهرقطة الكاملة للمذهب الشيطاني الذي يخص الساراسين (العرب المسلمين)" - حقاً كان من المستحيل تماماً بالنسبة إلى المسيحيين أن يروا الإسلام أي شيء آخر غير نسخة مشوهة عن المسيحية. وهذا الجدل ضد المسلمين الذي بدأ وتطور عبر العصور الوسطى، استمر في الواقع ليؤثر تأثيراً قوياً في نظرة الغربيين إلى الإسلام في هذه الحقبة وأدى إلى خلق جدل يشبه جدل ما

(١) وهذا اللفظ كان يطلقه الأوربيون على العرب والمسلمين، ودلالة اللفظ غير إيجابية وهي بحاجة إلى بحث مستقل ومفصل.

سمي بشهداء قرطبة، أي المسيحيين الذين تجرأوا على الإسلام وشتموه ونالوا محاكمات صارمة من الولاة المسلمين. وأصبح المسلمون بموجب هذه النظرة يشكلون الظل الكريه للغرب المسيحي، ظلاً كريهاً بشدة عصابية لا عقلانية لا مثيل لها.

وخلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر بدأ الناس يتراجعون قليلا عن النزعة الصليبية ويبحثون عن شكل ديني أكثر سلماً وأقل عدوانية. فقد كان هنا وهناك في أوربا علماء متفرقون بدأوا يتساءلون عن قيمة الحرب الدينية المقدسة وجدواها. فقد ارتعب ذلك الصليبي الأنجلو-نورماندي الذي شارك في الفتح المسيحي لمدينة لشبونة عام ١١٤٧م الذي كتب وصفاً لتلك الحملة، ولمجرد ورود فكرة ذبح المزيد من المسلمين، تَذَكر المذبحة التي شهدها بأم عينه وصرخ مستغيثاً "أيها الرب، ارفع يدك الآن، فهذا يكفي"(١). وكان أيضاً، إسحاق راهب إيتوال، يضطرب للغاية عندما يسمع عن أمر عسكري (مجهول المصدر) "يبيح السلب شرعاً والقتل على أساس ديني"(٢). وكان إسحاق يطلق على هذا الأمر *monstrum novum* (الوحشية الجديدة)، وكان يجد أنه من المستحيل أن يكون هناك انسجام من أي نوع بين هذا الأمر وبين صفح المسيح وصبره وطريقة تعاليمه(٣). كما وجد والتر ماب، الذي توفي عام ١٢٠٩م وكان يعمل أميناً لدى الينور أكويتين، أن تلك الأوامر العسكرية مقلقة جداً؛ وقد صرح: أن "الحواريين فتحوا دمشق بكلام الرب وليس بحد السيف، تماماً كما فتحوا الإسكندرية وبلداناً عديدة في العالم". ومع ذلك لم يقم أحدٌ من هؤلاء الكُتاب بإدانة الصليبية. بيد أنه من الواضح بروز عدد من الناس هنا وهناك الذين أخذوا يرون أن هناك تناقضاً كبيراً بين الحملات الصليبية وتعاليم

---

(١) اقتباس في كتاب كارين أرمسترونغ، م. س، ص١٥٨.

(٢) نفس المعطيات السابقة.

(٣) انظر المرجع السابق ١٥٨.

المسيح. وقام معظم الناس بدفن أو بتغييب هذا الفهم على نحو قاس في أنفسهم؛ وهكذا استمرت الحملات الصليبية في الانطلاق باتجاه الأرض المقدسة. ولكن يبقى من المهم التأكيد أن علماء تلك الحقبة عندما كانوا يدرسون الإسلام كانوا لا يرون فيه إلا دين سيف، وهذه النظرة لا تزال قائمة لدى الكثير من الناس في العالم الغربي حتى الآن بوصفها حقيقة واضحة ثابتة.

إن دين الإسلام ليس فيه من العنف أكثر من أي دين سماوي آخر، بل إن الإسلام قد وضع بالفعل نموذجاً رائعاً في التعايش السلمي تعكسه فتوح البلدان، ومنذ انطلاقته الأولى. وما قام به علماء الغرب في القرن الثاني عشر لم يتعدّ خلق صورة خيالية لا علاقة لها بالإسلام من قريب أو من بعيد، ولكنها ذات مساس كبير بمشكلة العنف المسيحي السائد. فعندما كان روبرت أوف كيتون يترجم كلمات السورة ٨٨ من القرآن الكريم ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾(١) فنجد أن الشارح ينبري للتعليق في الحاشية بهجوم مدهش على النبي (ﷺ) كاتباً ما يلي: "لماذا إذاً تحاول إقناع الناس أن يتحولوا إلى دينك باستخدام السيف؟ إذا لم تكن أنت مذكراً وإنما معلم، فلماذا تحاول إخضاع الناس بالقوة، تخضعهم مثل الحيوانات أو الوحوش البرية، وليس عن طريق العقل كأنهم بشر؟ في الحقيقة، أنت لست إلا كاذباً، فأنت تعارض نفسك بنفسك في كل مكان" (٢).

ومما يدعو للاستغراب أن المعلق على النص يهاجم كلاماً ينص على نحو واضح وصريح أن الإسلام ليس دين سيف؛ وأن أمامه أيضاً في القرآن مواقف النبي (ﷺ) الإيجابية فيما يخص أهل الكتاب والتعامل معهم وتذكير النبي ونصحه لأصحابه أن يمارسوا ضبط النفس في أثناء جهادهم المبكر ضد قريش في مكة،

(١) سورة الغاشية ، الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) اقتباس وارد في المرجع السابق، ص ١٥٨.

فقد كان جهاداً دفاعياً وليس حرباً عدوانية. وبالإضافة إلى هذا كله إن أمامه بينة واضحة تعارض ما يطرحه من أفكار، إلا أن "ما يراه" هو عنف الإسلام فقط. فهو لا يقنع بالقرآن: لأن النبي محمداً (ﷺ) "كاذب"، هو لا يثق أيضاً بأي كلام يقوله النبي، وبالتالي فإن بينة القرآن لا قيمة لها. لقد غدا الإسلام دين عنف لأن أوربا خلقت عنه هذه الصورة وأرادتها كذلك. كان بطرس الجليل في مظهره رجلاً لطيفاً متسامحاً، اتهم القديس برنارد بعدم التسامح والقسوة، خصوصاً عندما أخذ الأخير معه أبيلارد إلى كلوني بعد انعقاد مجلس الشيوخ؛ وكان يصر في مقدمة أطروحته بأنه يريد أن يصل إلى المسلمين عبر المحبة: "أود مقاربتكم، لاكما يفعل الناس عادة عن طريق استخدام السلاح"، فقد كتب رسالته وهو يتخيل المسلمين وهم يقرؤونها: "ولكن بالكلام؛ ليس بالقوة ولكن بالعقل؛ ليس بالكراهية ولكن بالحب.... إنني أحبكم، أحبكم لأنني أكتب إليكم، أكتب إليكم من أجل دعوتكم للخلاص"[1]. إن هذا من حيث المبدأ سبيل إيجابي تماماً مثله مثل مشروع الترجمة الذي كان قد بدأه في إسبانية. لكن بطرس سوف يتجاهل أيضاً ما هو مكتوب أمامه، بدلاً من أن يقوم بمحاولة تفهم ما كان يدعي "معرفته" بعمق لكن بغموض على أنه "حقيقة" الإسلام. ومع أن بطرس عندما كان يقرأ ترجمة كيتون للقرآن الكريم، كان يتوافر لديه عدد من الآيات التي تنص على أن النبي محمداً (ﷺ) كان يحث المسلمين على التعامل الطيب مع أهل الكتاب، وعلى تأكيد الأرضية المشتركة للأديان: ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ [2]. ومع هذا فقد كان بطرس متأكداً أن القرآن، من بين جميع كتب الأديان ينفرد في رفضه لقضية الحوار في الدين - على عكس الفرس والإغريق والرومان الذين هم في رأي بطرس، كانوا جميعاً يبحثون عن الحقيقة سلماً . وهذا

(١) اقتباس وارد في المرجع السابق، ص١٥٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية : ٤٦ .

الاعتقاد ليس له أساس من الصحة إطلاقاً. والحق أن المسلمين كانوا يعاقبون المسيحيين الذين يتهجمون أو يسبون الإسلام أو النبي (ﷺ) ولكنهم في الوقت نفسه كانوا مستعدين تماماً لسماع أي شخص من أي دين كان يعرض أفكاره الدينية. فبدلاً من أن يقوم بطرس بقراءة القرآن مترجماً كاملاً، فإنه كان ينتقي مقاطع منفردة من القرآن، وينزعها من سياقها ثم يقوم بمناقشة إنشائية لفظية لمعنى الكلام المقتطع والمأخوذ أساساً من الترجمة المشوهة؛ فقد كتب مخاطباً النبي ﷺ ومعلقاً على الآية الكريمة: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[١]:

"ما هذا الذي تقوله ؟ إذا أراد شخص أن يحاجك، تقول إنك أسلمت وجهك ومن معك إلى الله. ما هذا يا محمد...إذاً لم تقدم أي إجابة أخرى، غير أن تسلم وجهك ووجوه من معك إلى الله، فكيف لي أن أؤمن بأن ما تقوله صحيح؟ وكيف لي أن أؤمن بأنك نبي حقيقي من أنبياء الله؟ وكيف لي أن أؤمن بأن الدين الذي أبلغته للناس بُلغ لك من عند الله؟ سأكون بالفعل أغبى من الحمار لو أنني وافقتك؛ سأكون منقاداً أكثر من الغنم لو أني قبلت ما تقوله[٢]. لقد اتخذ بطرس بعض الكلمات هنا التي تشير إلى بعض الشؤون الإسلامية الداخلية المحددة على أنها نصوص عامة تعزل وجهات نظر أخرى . كما أن بطرس يدعي أن الإسلام يفرض نفسه بالسيف وحده وعبر عنف فظيع قائلاً : "الكلمات لا تنفع في مثل هذه الحالة من القسوة الوحشية"[٣] . وحتى رجل "راجح العقل" مثل بطرس الجليل كان مدفوعاً إلى أن يلقي جانباً بالعقل والموضوعية عندما أخذ ينظر إلى الإسلام على أنه دين العنف وعدم

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢٠ .

(٢) اقتباس وارد في المرجع السابق، ص١٥٩.

(٣) اقتباس وارد في المرجع السابق، ص١٥٩.

التسامح والقسوة . لم يأخذ المعلق على الترجمة ولا بطرس الجليل الحملات الصليبية بعين الاعتبار ، فلم يتذكر الأول مثلاً كلام القديس برنارد بأن المسألة الوثنية ، ويقصد حربه مع الإسلام ، إلا بالسيف ، فمن جهة يقوم بطرس الجليل بإدانة استخدام العنف ويصر على الاقتراب من المسلمين بروح المحبة فقط، ومع ذلك فعندما يغادر لويس السابع ملك فرنسا في حملته الصليبية ، فإن بطرس يكتب إليه بأنه يأمل منه بأن يقتل من المسلمين قدر ما يستطيع، بقدر ما قتل موسى وجوشوا من الآشوريين والكنعانيين. كما كتب أيضاً إلى كبير أسياد المعبد، معبراً عن إعجابه العميق والثابت للأمر الذي أصدره بخصوص القتال ضد الساراسين[1]. إنها تركيبة نفسية غريبة متناقضة وعصابية.

وكما كان من المستبعد تماماً بالنسبة إلى المسيحيين أن يروا في الإسلام أي شيء سوى شكل مشوه عن دينهم، كان من المستبعد بالنسبة إليهم أيضاً أن يروا الإسلام غير دين عنف، على الرغم من أن الدليل كان شاخصاً أمامهم. وبهذا تأسست منذ وقت مبكر صورة المسلم بوصفه عدواً للمسيحي، وغدت هذه الصورة فيما بعد جزءاً لا يتجزأ من هوية العالم المسيحي الغربي النامية تدريجياً. لذلك كان المسلم جزءاً من الروح المسيحية الغربية وحُمِلَ عبء القلق الغربي من العنف المسيحي. إن الكتب ووسائل الإعلام وبرامج التلفاز اليوم تبث وتتناقل عنوانات مثل "سيف الإسلام" و "الإسلام المسلح" التي ما زالت تعود إلى تلك الصورة المقولبة والمسطحة عن الإسلام، كما أن العناد الذي ما زال يجعل الناس يتعلقون بفكرة الإسلام " كدين للسيف" تُظهر على مستوى من المستويات حاجة أولئك الناس لتصديق ذلك. ولا شك أن الإنسان المسيحي في الغرب قد تأثر بهذه الصورة التي

(١) انظر المرجع السابق، ص١٥٩ وما يليها.

ورثها عن الإسلام من ديانته ومن ثقافته المسيحية الغربية ، فوجد نفسه ليس في موقف دفاعي عن المسيحية ، بل في موقف هجومي على الإسلام. وفي ذلك يقول مراد هوفمان: "وطبيعي أن انتصارات المسلمين جنحت بالإنسان الغربي المسيحي إلى الزعم بأن الإسلام دين عدواني فصار يتشبث بالادعاء أن الإسلام إنما انتشر بحد السيف"(١). ومما يجدر ذكره في هذا السياق أنه من الأكيد فيما يسمى بإسرائيل اليوم هناك صقور من أمثال رافائيل إيتان وبنيامين نتنياهو و إرييل شارون، وحتى حمائم من أمثال يهودا باراك وشمعون بيرز ما زالوا يبررون استخدامهم للقوة والعنف في التعامل مع الفلسطينيين على أساس أن الإسلام يعلمهم أن على المسلمين أن يقاتلوا الناس من كل الأديان بوصفهم أعداءً لهم وأن يقوموا بإفنائهم عن طريق العنف. خطاب مفاده أن تقوم الدولة اليهودية بمعاهدة سلام مع هؤلاء العرب المسلمين في فلسطين أمرٌ مستحيل، لذلك فإن هذه الدولة معها كل الحق في استخدام العنف والقتل والتدمير لردعهم.إن كلمات الجنرال اللنبي "اليوم انتهت الحروب الصليبية" التي قالها حين دخل مدينة القدس في سنة ١٩١٧م ما زالت ملتصقة بأذهان العرب والمسلمين، كما أن الأحداث الجارية في بلاد العرب والمسلمين لتؤكد الخطر الداهم للصليبية الجديدة في المعاملة الغربية العدائية للإسلام والمسلمين(٢)، وإن قادمات الأيام سوف تثبت تأثير الحملات الصليبية في عالمنا المعاصر، في الشرق وفي الغرب على حد سواء. بناءً عليه نستطيع القول: إن وسائل الإعلام العربية والإسلامية مطالبة بالتصدي لما ينشر في الصحف والمجلات ويبث في برامج إذاعية

---

(١) مراد هوفمان . **الإسلام كبديل** .- الرياض: مكتبة العبيكان ، ٢٠٠١م، ص٢٢.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذه الفكرة، انظر : كتاب د. عبد اللطيف الطيباوي . **المستشرقون: الناطقون بالإنكليزية، دراسة نقدية** ؛ ترجمة وتقديم د. قاسم السامرائي .- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص٧٠ وما يليها.

وتلفزيونية أو ما يدور في بعض المحافل الدولية حول القرآن والإسلام والمسلمين، كما أن على الأوساط الجامعية والعلمية والثقافية أن تقوم برصد ما ينشره المستشرقون وأن يترجم إلى اللغة العربية وأن تتم دراسة ذلك الإنتاج ونقده على أسس موضوعية ؛ بغية إظهار الحقيقة ، وكلما دعت الضرورة إلى ذلك؛ وأخيراً، فإن هذه الأوساط هي الأطراف الشرعية المعنية بتتبع تلك الدراسات وترجمات القرآن الكريم والاعتراف بالجيد منها وقبوله. وبما أن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية هي وسيلة مهمة لنشر الدين الإسلامي، وبما أننا لا نملك القدرة على إيقاف ترجمات القرآن الكريم في أرجاء مختلفة من العالم، فلابد أن نتصدى لمحاولات التشويه وذلك باتخاذ مواقف حازمة على صعيد المستويات المذكورة كلها.

مراجعة : ترجمة روبرت أوف كيتون للقرآن الكريم (١)

بقلم جيمس كريتزك

صدرت مراجعة لترجمة روبرت أوف كيتون في جمعية زملاء جامعة هارفارد عام ١٩٥٥م لجيمس كريتزك وهو أمريكي متخصص في الدراسات العربية والإسلامية، وكان كريتزك قد أعد أطروحة الدكتوراه عام ١٩٥٤م في جامعة برنستون حول بطرس الجليل، وقد نشرت الجامعة هذه الأطروحة في كتاب تحت عنوان "بطرس الجليل والإسلام" عام ١٩٦٤م. ويحاول كريتزك في مراجعته هذه أن يلخص بعض النتائج التي وصل إليها نتيجة مراجعته لمخطوطة ترجمة روبرت للقرآن الكريم التي تفيد الباحثين المهتمين في هذه القضية، التي تتركز تحديداً في بيان أهمية ترجمة روبرت للقرآن أوربياً وتأثيرها في ترجمات غربية لاحقة وفي الدفاع ضمناً عن بطرس الجليل، وذكر بعض التفاصيل المهمة والظروف التي تمت فيها هذه

(١) *James Kritzeck, "Review: Robert of Ketton's Translation of the Qur'an", I. Q., ii (1955), pp. 309-12.*

الترجمة. وتتميز هذه المراجعة بموضوعية بحثية من وجهة نظر القارئ والباحث الغربي المسيحي - لكنها تقدم أيضاً الوجه الآخر للمسألة بالنسبة للقارئ والباحث العربي المسلم، وتظهر خلفية التحامل الديني والثقافي التي تمت على الإسلام والمسلمين في أجواء مشحونة بالتوتر والعداء الصريحين.

إن ترجمة مراجعة كريتزك إلى العربية والتقديم لها والتعليق عليها وبيان الظروف التاريخية والثقافية والدينية التي تمت في ثناياها ترجمة روبرت أوف كيتون للقرآن الكريم التي هي موضوع المراجعة يخدم على نحو أولي فهم عملية ظهور هذه الترجمة تحديداً وظهور ترجمات أخرى تنطوي على كثير من المساوئ والتحامل عبر تاريخ طويل من الصراع والعداء غير المبررين تجاه الإسلام. وقد رأيت في هذا العمل بعض المعلومات التي قد تشكل مساهمة متواضعة باتجاه فهم عربي-إسلامي علمي وموضوعي لأهداف من قاموا بترجمة القرآن الكريم من غير المسلمين. وحسبي أن أصيب الغاية عبر هذا الجهد الترجمي، فمن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد.

نص المراجعة

لقد غدا من المعروف لدى الباحثين ومنذ وقت طويل وجود ترجمة لاتينية للقرآن الكريم تمت بتفويض من بطرس الجليل[1]،الرئيس التاسع لدير رهبان كلوني، وتأثير هذه الترجمة في كثير من الترجمات الأوروبية التي تمت فيما بعد. إن ما يدعو المرء

(١) لا توجد سيرة حياة بحثية مقنعة حول بطرس . انظر: جي لكليرك، بطرس الجليل (دير القديس واندريل، ١٩٤٦م) (بالفرنسية) الذي يشير إلى أعمال سابقة حول هذا الموضوع . وهناك خطة لإصدار عدد من الدراسات حول بطرس في مجلد خاص في مجلة" دراسات إسلامية" لعام ١٩٥٦م - *Studia Islamica* .

للأسف هو أن الكثير من الحقائق حول هذه الترجمة لم تظهر إلا مؤخراً[1] وذلك بسبب وجود أخطاء وحذوفات كثيرة في مخطوطات لاحقة، وبسبب سوء استخدام المصادر اللاتينية ظل كل شيء مجهولاً إلى أن قامت ماري تيريز دو الفيرني[2] *Marie-Terese d'Alverny* باكتشاف المخطوطة الأصلية المكتوبة بخط المؤلف من جديد والمؤرخة عام ١١٦٢م في مكتبة الأرسنال بباريس، وأجرت عليها دراسة أولية، عندها تم شق طريق جديد من أجل القيام بدراسة جدية حول هذا الموضوع. ولعل الباحثين في الإسلاميات يجدون من المفيد لهم أن يطلعوا على نتائج تقصٍ تم مؤخراً قمت به على المخطوطة[3] التي سأقوم بإيجازها هنا، وستكون محط اهتمام خاص بالنسبة إليهم.

لقد كانت زيارة بطرس الجليل إلى الكنائس والأديرة الكلونية *Cluniac* في إسبانيا في العامين ١١٤١م و ١١٤٢م هي المناسبة المباشرة لتخطيطه ذلك المشروع الطموح، الأول من نوعه في العالم المسيحي ، الذي يهدف إلى دراسة الإسلام. إنني مقتنع بأن هذا المشروع لم يكن فكرة وليدة المصادفة ولكنه مشروع يتصل على نحو

(١) لقد أنجز ب. ف. ماندونت عملاً أولياً ذا قيمة عنوانه : "بطرس الجليل وجهوده ضد الإسلام" في"المجلة التومانية" *Revue Thomiste* (نسبة إلى توما الإكويني)، العدد ١(١٨٩٣م)، ص ٣٢٨- ٣٤٢ (بالفرنسية)، كما كتب أو. موتورت دو فيلار دراسة بعنوان: "دراسات في الإسلام" في أوربا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر في (**دراسات وشهادات** العدد ١١٠)، مدينة الفاتيكان، ١٩٤٤م ص٨-٣٥ (بالإيطالية).

(٢) انظر : "ترجمتان لاتينيتان للقرآن من العصر الوسيط"، العددان السنويان ٢٢-٢٣ (١٩٤٨-١٩٤٧م)، ص ٦٩-١٣١، و"بطرس الجليل وأسطورة محمد"، **مجلة كلوني**، (ديجون، ١٩٥٠م)، ص ١٦١ - ١٧٠ (بالفرنسية).

(٣) سوف أنشر أطروحتي للدكتوراه : "بطرس الجليل والإسلام" لعام ١٩٥٤م (الصادرة عن دار فيرستون ميموريال، جامعة برنستون التي تقع في ٦٨٥ صفحة، ١٩٥٤م) مع تحقيقاتي لمخطوطة الأرسنال ولكتاب بطرس "كتاب ضد مذهب هرطقة الساراسين"عن المخطوطة رقم٣٨١ في مكتبة دو دوي.

حميم بخصوصيات ثقافة بطرس ومزاجه، كما يتصل بأعماله ذات الصفة الدفاعية والجدلية، وبعدم قناعته العميقة بالاتجاه الذي خطته الحركة الصليبية في زمانه(١). كان بطرس رجلاً مثقفاً، وعَبَّر صراحة بأن هناك القليل جداً من المعلومات الموثقة عن الإسلام باللاتينية، وكان يلوم دائماً الجهل المسيحي على فقدان الحماس من أجل دراسة اللغات(٢). ونظراً إلى أنه لم يكن نفسه يعرف العربية، فقد كان تحركه الأول يتمثل في استخدام مترجمين عن العربية كي يزودوه بالمعلومات.

ويمكن أن يكون البحاثة ريموند دولاسوفيتات(٣) الذي كان رئيساً لأساقفة طليطلة وأباً مسؤولاً عن جماعة كبيرة من الباحثين، قد ساعد بطرس في اختيار مترجميه والنصوص التي يجب أن ينقلها، وفي أي حالة، كما أخبر بطرس برنارد أوف كليرفو فيما بعد، بأنه قد علم بوجود عمل عربي " يُفند " العقيدة الإسلامية وأنه نصب شخصاً يدعى "المعلم بطرس من طليطلة " ليعمل على ترجمة هذا العمل له إلى اللاتينية"، ولكن لأن اللغة اللاتينية لم تكن مألوفة أو معروفة بالنسبة إليه كما هي العربية، لذلك قدمت المساعدة لهذا الرجل العالم، ابننا وأخينا، بطرس الشهير(٤).

---

(١) انظر: جيمس كريتزك . **بطرس الجليل والإسلام**، ص١٠-٤٠. (بالإنجليزية).

(٢) جي. ب . ميني، الأبوية اللاتينية، ١٨٩ (باريس، ١٨٩٠م)، *B* ٦٧١ .

(٣) لقد التقى الاثنان بالتأكيد، إن لم يكن قبل ذلك، عندما كانا معاً برفقة "الإمبراطور" الفونسو السابع في رحلته إلى سالامانكا عام ١١٤٢م، انظر: أ. جي. برنارد والكسندر برويل، أرشيف سجلات دير كلوني، ٥ (باريس، ١٨٩٤م)، رقم ٤٠٧٢، ٤٢٥، والرقم ٤٠٧٦، ٤٢٩. وانظر أيضاً، أ. جي.بالانسيا، دون ريموند رئيس أساقفة طليطلة (برشلونة، ١٩٤٢م). (بالإسبانية).

(٤) هذا الرجل هو بطرس أوف بواتييه، وليس قاضي قضاة باريس ولا الراهب المُنظم للقانون الكنسي في دير القديس فيكتور؛ انظر: م. لوكوانتر - دوبون، "إشارة إلى بطرس دوبواتييه، أكبر رهبان دير كلوني، أب دير القديس مارتيال دو ليموج"، مذكرات جمعية البحث عن العاديات ، ٩ (١٨٤٢م)، ص٣٦٩-٣٩١. (بالفرنسية).

قام هذا الرجل بصقل الكلمات اللاتينية وترتيبها والتي كان قد وضع معظمها بنفسه (أقصد المعلم بطرس من طليطلة) بطريقة ينقصها الصقل والترتيب، وبهذه الطريقة أخرج رسالة، أو بالفعل كتاباً صغيراً، كان مفيداً كثيراً مستقبلاً للعديدين، في اعتقادي ، وذلك بسبب المعلومات التي يوصلها عن أمور لم تكن معروفة من قبل(١). وقد كان من الصعب أن يصدق كثير من الباحثين أن بطرس كان يتحدث عن القرآن في ذلك النص؛ والترجمة التي نحن بصدد الحديث عنها هي ترجمة "رسالة عبد الله ابن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي ورسالة الكندي إلى الهاشمي، وهي الرسالة المسيحية الدفاعية المشهورة"(٢).

"بالإضافة إلى ذلك"، فقد تابع بطرس كلامه لبرنارد، "فقد ترجمت عن العربية إلى اللغة اللاتينية أيضاً.... العقيدة المتعصبة، وسيرة حياة محمد، والقانون، الذي يُطلِقُ عليه اسم القرآن، الذي هو، "مجموعة من القواعد"(٣)... (وفيما يخص الترجمتين

---

(١) انظر: مين، C-D ٦٤٩ .

(٢) حرر النص العربي انطون تين في لندن عام ١٨٨٠م، ولكن تم اكتشاف مخطوطات أفضل فيما بعد وتمت مقارنتها؛ انظر: ب. ل. تشيكو ، "**فهارس مخطوطات المكتبة الشرقية**. الجزء السادس: مجادلات"، مقالات متفرقة إصدار جامعة القديس يوسف، ١٤ (١٩٢٩م)، ص٤٣-٤٦. وكان جوزيه مونوز سيندينو قد نشر طبعة لترجمة لاتينية تحت عنوان "**رسالة الكندي المسيحية الدفاعية**"، في أعمال متنوعة، ١١-١٢ (١٩٤٩م)، ص ٣٣٩-٤٦٠، ولكنه لم يستخدم مخطوطة الأرسنال المقروءة على نحو أفضل . وحول هذا العمل انظر: جي. غراف، **تاريخ الأدب العربي المسيحي**، العدد ٢ (دراسات وشهادات ١٣٣)، مدينة الفاتيكان، ١٩٤٧م، ص١٣٥- ١٤٦. (بالألمانية)، و انظر: دبيلو. موير، دفاع الكندي ٠- لندن : ١٨٨٢م.(بالإنجليزية).

(٣) إذا كان، كما يبدو واضحاً من نص آخر: مّين، B ٣٤٠، بطرس يقدم ترجمة للعنوان العربي وليس وصفاً للمحتويات، فإن ترجمته تحتاج إلى تصحيحات؛ لأنه نسخها عن العنوان في مخطوطة الأرسنال، الورقة ١٣٨.

الأخيرتين) فقد كان المترجمون يتقنون كلا اللغتين: روبرت أوف كيتون[١] من إنكلترا. الذي هو رئيس الشمامسة في كنيسة بامبلونة الآن، وهرمان أوف دالماتيا، وهو بحاثة[٢] ذو عبقرية أدبية واضحة كل الوضوح. وقد عثرت عليهما في إسبانيا بالقرب من نهر ايبرو يدرسان فن التنجيم[٣] وقد جعلتهما يقبلان القيام بهذا المشروع عن طريق منحهما مكافأة كبيرة. وفي شرح متأخر أفاد بطرس بوجود مترجم آخر معهما: " ولكي تكون الترجمة [الترجمات] متمتعة بأقصى درجات الأمانة، ولكي لا يضيع عنا أي شيء عن طريق المختالة، أضفت مترجماً من الساراسين إلى فريق الترجمة المسيحي.... كان اسم ذلك الساراسين محمد[٤]. وقد ترجم كلٌّ من هرمان وربرت عملين: ترجم هرمان "مسائل" أبي الحارث عبد الله بن سَلام[٥] و " كتاب نَسَب

(١) *Ketenensis* اسم بلدة يعني على ما يبدو *Ketton* كيتون ، وتقع في روتلاند شاير؛ وفي المخطوطات المتأخرة في تشِستر أو ريدنغ. انظر: أ. م. كليرك "تشستر، روبرت" **معجم السيرة الذاتية الوطنية** ، ١٠ (لندن، ١٨٨٧م) ، ص ٢٠٣؛ جي. سارتون ، مقدمة لدراسة تاريخ العلم ، ج١، ٢، (بالتيمور، ١٩٣١م)، ص ١٧٣-١٧٤.(بالإنجليزية).

(٢) إن ترجمة الكلمة *Scholasticus* هي ترجمة فنية هنا، تبعاً لـ م. الونسو، "هرمان دو كارينثيا، دوايسانتيس، أعمال متنوعة، ٥ (١٩٤٦م)، ص ١٣؛ انظر: اتش. بوسمانز، "هرمان لا دالمات، مترجماً لآثار عربية"، **مجلة القضايا المهمة**، ٥٥ (١٩٠٤)، ص ٦٦٩ -٦٧٢، وسارتون، ١، ٢، ص١٧٣-١٧٤. (بالفرنسية).

(٣) مين، *D* ٦٤٩ ، *C* ٦٥٠ .

(٤) المرجع السابق، *D* ٤٩. ٦٧١ .

(٥) إن النص العربي مطبوع طباعة حجرية في القاهرة عام ١٨٦٧م، وهناك العديد من المخطوطات التي تتنوع كثيراً فيما بينها. وهناك ترجمتان نادرتان لهذا العمل، لكنهما غير مفيدتين هنا وهما: ترجمة ناثان ديفز، **كشف أخطاء المحمدية: أو، حوار بين النبي العربي وأحد اليهود** (مالطا، ١٨٤٧م) (بالإنجليزية). و. ف. بيجر، *Het boek der duizend Wragen (Leiden, 1924)* (بالألمانية). وحول هذا العمل انظر: جي. هوروفيتز "عبد الله ابن سلام"، **موسوعة الإسلام**. مج١، ١ (١٩٥٤م)، ص٥٢.

الرسول" لسعيد بن عمر[1]؛ كما ترجم روبرت مجموعة لا تزال غير معروفة من القصص الأسطورية اليهودية -الإسلامية ومعها ملاحظات حول سيرة حياة محمد والخلفاء الأوائل[2]، بالإضافة إلى القرآن. إن ذكر بطرس الجليل لهرمان وربرت مع بعضهما على أنهما مترجما الأعمال الأربعة المذكورة أدى إلى اعتقاد كثير من العلماء أن الاثنين تعاونا في إنجاز هذه الأعمال الأربعة، ولكن عناوين مخطوطة الأرسنال والمقدمتين اللتين كتبهما روبرت تدعمان عزو عملين لكل منهما.

لقد ثَبُتَ أن ترجمة القرآن، وربما بحق، أنها الجزء الذي يستحق الرجوع إليه من بين مجموعة طليطلة. وهي تمثل العمل الذي استغرق على الأرجح الوقت الأطول لإنهائه، وعلى أية حال فهو العمل الوحيد الذي يمكن تحديد زمن إنجازه بدقة. "إن روبرت أوف كيتون هو من قام بالترجمة"، فقد كُتِبَ هذا الكلام بخط جميل وواضح في مخطوطة الأرسنال، "في سنة السيد المسيح ١١٤٣م، الموافقة لسنة الإسكندر ١٤٠٣،[3] ولسنة الهجرة ٥٣٧، ولسنة الفرس ٥١١" [4]. ويسمح لنا هذا أن نضع تاريخ إنهاء الترجمة فيما بين ١٦ حزيران و ١٥ تموز من سنة ١١٤٣، أي في بدايات

(١) انظر : جى. ريبيرا و م. أسين بلاثيوث، **المخطوطات العربية في مكتبة جونتا** (مدريد ١٩١٢م)، ص٤٤ و ٥٠.

(٢) ثمة أجزاء منها في مخطوطات مكتبة جونتا، ولكن لم تتح لي الفرصة أن أدرسها بتأنٍ، ويمكن أن يُلام روبرت جزئياً لحذفه الإسناد بدعوى أن "الأسماء العربية غريبة تماماً بالنسبة إلى اللغة اللاتينية، لذلك كان يرى تعداد تلك الأسماء عبر جهد مضنٍ دون أي جدوى، إلا إذا كان هناك من يعدّ الإسهاب في الكلام وزيادة عدد الأوراق أمراً مثمراً!". مخطوطة الأرسنال، الورقة ٥.

(٣) يجب أن تكون سنة الإسكندر ١٤٥٣م، وجاءت كذلك في تقديري نتيجة لحذفٍ تم في أثناء نسخ المخطوطة وليس نتيجة لخطأ في الحساب.

(٤) مخطوط الأرسنال، الورقة ١٣٨.

السنة الفارسية ٥١١ وسنة الهجرة ٥٣٨ على التوالي. وقد أشار روبرت في مقدمته للترجمة إلى أنه مر بتجربة صعبة للغاية في إنجازه إياها. على الرغم من أنه أصر على أنه "لم يقم بتغيير شيء في المعنى إلا عندما اضطر إلى التوضيح ليس إلا."(١) فقد كان روبرت يفسر ذلك على نحو عام إلى حد ما. ومن ضمن أهم التصرفات التي قام بها في النص هي إعادة تقسيم السور القرآنية ، فقد بدأ الترجمة دون ترقيم للفاتحة، وقسم السورة الثانية بما في ذلك سدسها الذي أنهاه إلى خمس عشرة سورة، وبذلك خرج في النهاية بزيادة قدرها تسع سور زيادة على ما هو موجود في الأصل. كان يحذف أحياناً فقرات ويرتكب أخطاء شنيعة في الترجمة، ولكن الخطأ الكبير الذي ارتكبه كان يكمن في ميوله في التعبير عن أسباب ونتائج في الترجمة هي غير موجودة في النص الأصل ؛ محاولاً بطريقته المختلقة أن يخلق علاقات منطقية بين السور المستقلة أساساً. كما أن اختياره لعبارات تعتمد على عبارات وعظية مسيحية وعلى ذكريات أدبية أحياناً لغريب تماماً.

إن ترجمة القرآن في مخطوطة الأرسنال مُثقلة بالشروح والتعليقات الكثيرة، فعلى سبيل المثال، تحتوي الصفحات العشر الأُوَل من المخطوط على ٣٦٤ ملاحظة في الهوامش وبين الأسطر. وربما كانت بعض هذه الملاحظات من قبل روبرت أوف كيتون نفسه، لكنني أميل إلى الاعتقاد بأن بطرس أوف بواتييه هو من قام بمعظمها؛ وهي بطبيعتها تتراوح بين "كم كاذب" وتعليقات تدل على سعة الاطلاع، وتبلغ الكلمات التي تخص الكعبة والأعراف الإسلامية بالمئات أيضاً. إن دراستي لهذه الترجمة ستتضمن تحريراً لتلك الملاحظات كلها، هذا بالإضافة إلى فهرس بالمصطلحات اللاتينية والعربية المستخدمة.

---

(١) مين، C-D ٦٥٨: لقد اختفت المقدمة من مخطوط الأرسنال.

لقد كان الهدف الأول لبطرس الجليل أن يداوي علة الجهل الأوربي المسيحي بالإسلام، كما كانت ترجمة مجموعة طليطلة بداية رائعة. ولكن لأن بطرس وجد محتويات هذه المجموعة أحياناً "مسهبة، ومعظمه ما صعب الفهم"[١]، قام فيما بعد بإعداد كتيب موجز بسيط، وصحيح عموماً حول العقيدة الإسلامية عنوانه: *Summa totius heresies Sarracenorum* - " ملخص كامل عن هرطقة الساراسين"[٢].

وبعد دراسة متأنية ومطولة لمشروعه، كان بطرس يرى أن دوره ينتهي تحديداً عند هذه النقطة، ولكنه عندما لاحظ وقتئذٍ أنّ بطرس أوف كليرفو أو أي شخص آخر لا يرغب في الاطلاع على تلك الترجمات عبر كتاب يُفند العقيدة الإسلامية من وجهة نظر مسيحية، لذلك قام في نهاية الأمر بكتابة كتاب عنوانه : "كتاب ضد مذهب هرطقة الساراسين"[٣]. ويختلف هذا الكتاب عن غيره من الكتب المسيحية السابقة واللاحقة الصادرة حول الإسلام لسببين: أولهما : الطريقة الهادئة والمحتشمة التي يتوجه بها، وثانيهما : معالجته فقط لموضوعات دينية قليلة على نحو موسع للغاية.

(١) المرجع السابق، *B* ٣٤٠ .

(٢) المرجع السابق، *C-D*، ٦٥١، *B* ٦٥٧ - *C* ٦٥٢ . وهناك مخطوطتان متأخرتان واحدة تخص فصل لوبي *Chapter Lepuy*، والثانية من المخطوطة ٢٢٦١ في مكتبة دوترويه، تحتويان على تنوعات ممتعة في الجمل الأولى من النص؛ سأقوم بمناقشتها مع جيل كونتابل في أحد أعداد مجلة دراسات إسلامية - .*Studia Islamica*

(٣) المرجع السابق، *D* ٦٦٣، *D* ٦٦٤ - *B* ٧١٩، *A-B* ٧٢٠ . أقصى ما أستطيع قوله هنا: إن السبب الكامن وراء الاعتقاد السائد بأنه كان هناك أربعة كتب تلخص الفصول التي قام بإعدادها بطرس أوف بواتييه، المرجع السابق، *B* ٦٦٢-٦٦٣٢ ، *A-C* ٦٦٤ ؛ ولكن بطرس الجليل لم يتتبع هذه الفصول على نحو دقيق ، كما أن المسائل المهمة كلها التي تحتويها هذه الفصول تم تناولها في كتابيّ بطرس المذكورين ،انظر: كريتزك، ص ٢١٢-٢١٧ .

ونقرأ في مستهل الكتاب: إنه يبدو غريباً، ولعل الأمر كذلك، بالفعل، إنني أنا، رجل مختلف عنكم كثيراً من حيث المكان، وأتحدث لغة مختلفة،وظروف حياتي منفصلة عن ظروف حياتكم، وغريب عن عاداتكم وحياتكم، أكتب إليكم من الغرب البعيد إلى أراضي الشرق والجنوب ، وإنني عبر كلامي هذا أهاجم أناساً لم أقابلهم من قبل، أناساً ربما لن أقابلهم مستقبلاً. لكنني أهاجمكم ليس بالطريقة التي يقوم بها بعض منا نحن [المسيحيين] غالباً ، مستخدمين السلاح ، إنني أستخدم الكلمات ؛ ليس بالقوة ، ولكن بالعقل ، ليس بالكراهية، ولكن بالحب.... إنني أحبكم؛ ولأنني أحبكم أكتب إليكم؛ وبكتابتي إليكم، أنا أدعوكم إلى الخلاص(١) .

لم تُكتب المقادير "لكتاب " بطرس ، كما كان يأمل أن يحدث(٢) ، وهو أن يُترجم إلى العربية ، كما أنه لم يؤثّر على نحو ملحوظ في الجدال المسيحي الدائر بخصوص الإسلام لاحقاً. على أية حال ، لقد تمتعت مجموعة طليطلة بنجاح كبير ضمن تراث مخطوطات غني وعدد من النسخ المطبوعة (إحدى هذه النسخ قدم لها مارتن لوثر) في القرن السادس عشر.(٣) وإذا كانت هذه المجموعة قد فشلت في إطلاع أوربا على الإسلام، فإنها تبقى مع ذلك، شهادة على فطنة رجل مسيحي من القرون الوسطى وحماسه فضل اللجوء إلى السلم والتفاهم بدلاً من اللجوء إلى الحرب والجهل.

---

(١) مين، ٦٧٣*B*، *C* ٦٠. ٦٧٤٢ .

(٢) المرجع السابق، ص *A* ٦٧٢ .

(٣) انظر: دو الفيرني، " ترجمتان ". انظر المعطيات فيما سبق، ص١٠٩ – ١١٣؛ وهناك ثلاث نسخ مستقلة للطبعة الأولى التي ظهرت في بال سنة ١٥٤٣، وطبعة ثانية ظهرت عام ١٥٥٠م؛ وانظر : دبليو كوهلر، *Zu Bibiarders Koran - Ausgabe Zwingliana , iii (1929),pp.345-50* .

ثبت بالمراجع

الكتب :

١ – أرمسترونغ ، كارين . **الحملات الصليبية وتأثيرها في العالم المعاصر**.- لندن: ماكميلان ، ١٩٨٨م (بالإنكليزية).

٢ – البنداق ، محمد صالح . **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم** .- بيروت : دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م.

٣ – حسن ، محمد خليفة . **أزمة الاستشراق الحديث المعاصر** .- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ.

٤ – السباعي ، مصطفى . **الاستشراق والمستشرقون** .- بيروت : دار الوراق، طبعة جديدة، ١٩٩٩م.

٥ – ستودارد ، لوثروب ، وأرسلان ، شكيب . **حاضر العالم الإسلامي** . مج١، دار الفكر، ١٩٧١م.

٦ – الطيباوي ، عبد اللطيف . **دراسات عربية وإسلامية** .- دمشق : دار الفكر، ١٩٨٣م.

٧ – الطيباوي ، عبد اللطيف . **المستشرقون الناطقون بالإنكليزية** ؛ دراسة نقدية ؛ ترجمة وتقديم د. قاسم السامرائي .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٨ – فروخ ، عمر ، والخالدي ، مصطفى . **التبشير والاستعمار** .- بيروت : المكتبة العصرية، ١٩٩٥م.

٩ – موسوعة الإسلام ، مج٣. ليدن : إي.جي. بريل ، ١٩٦٩م.

١٠- هوفمان ، مراد . **الإسلام كبديل** .- الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١م.

١١- وهبة ، مصطفى . **موجز الحروب الصليبية** .- مصر - المنصورة : مكتبة الإيمان، ١٩٩٧م.

المجلات والدوريات :

١ - أبو طالب ، محمد . "ملاحظات حول ترجمة القرآن": ترجمات ، جامعة عبد المالك السعدي : **مدرسة الملك فهد العليا للترجمة في طنجة** ، المجلد ٨ ، العدد ٢ ، أكتوبر ١٩٩٩م.

٢ - البقاعي ، محمد خير . "ترجمات القرآن الكريم" ، **مجلة الفيصل** .- الرياض ، العدد ٢٣٩، ١٩٩٥م.

٣ - كريتزك ، جيمس ؛ مراجعة ترجمة روبرت أوف كيتون للقرآن الكريم . **الفصلية الدولية**، جامعة هارفارد، ١٩٥٥م . (بالإنجليزية).